د. مصطفى البعزاوي
أكاديمي
بجامعة محمد الأول وجدة

أخلاق المعلم المؤثرة

للمعلم تأثيره المباشر على المتعلمين إذ يلتفون حوله للاستفادة منه، وهو قدوتهم، وناصحهم، ومربيهم، وموجههم، ومؤدبهم، وإنها لمنزلة عظيمة كريمة، ومسؤولية جسيمة.

وهناك عدة مجالات يستطيع المعلم خلالها أن يسهم في بناء شخصية الطلاب، والتي من أبرزها ما يلي:

التقوى

قال الإمام الشافعي: زينة العلماء التقوى، وحليتهم حسن الخلق وجمالهم كرم النفس».

وإذا كانت في المعلم صفة التقوى ففيه أعظم وأجمل صفة تحلى بها، فهي الصفة الأم، وهي الصفة التي تجلب جميع الصفات الحسنة؛ من تواضع وصدق وعدل ومساواة وإحسان إلى غيرها من الصفات الجميلة. إنها تجعل صاحبها يترك كل ما هو منهي عنه، وتجعله يقبل على كل ما هو مباح له.

الرحمة والرفق

وينبغي للمعلم أن يكون رحيما غير فظ ولا غليظ، متأسيا بأخلاق المصطفى ﷺ الذي قال تعالى في وصفه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩). وينبغي أن يترفق بتلاميذه لأنه مطلب إسلامي، قال ﷺ: «إن الله رفيق، يحب الرفق في الأمر كله».

وقال ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه».

لقد حرص الرسول الله ﷺ أن يبث الرفق في نفوس أصحابه، وأن يكسبهم هذه الصفة السامية، لأنها ملاك الأخلاق، وأم الفضائل، وشارة الحلم، وعنوان العقل، والأحاديث التي تناولت هذه الصفة، ودعت إليها كثيرة، عرضها المعلم العظيم بصور وألفاظ عديدة وأمثلة حسية ومعنوية.

وقد استوقفني هذا التأكيد والتكرار لهذه الخلة، وما ذاك إلا لعظم شانها، وصلتها بحقيقة الإيمان، وحرصه ﷺ على أن يتحلى أصحابه بها. وكان يقول لعائشة -رضي الله عنها- عليك بالرفق.

البعد عن الغضب

إن الغضبَ جماح الشر، لأنه يحول بين المرء وبين حسن التصرف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إن رجلا قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: لا تغضب، فردد مرارا، وقال: لا تغضب».

ونظرا لما للغضب من سيطرة على تصرف الإنسان حيث يجمح به إلى التلفظ بمبتذل الكلام الذي يؤدي إلى قبيح الأفعال. فقد جاء في الحديث النبوي الشريف: عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

إن الغضب يؤدي بالإنسان إلى فقدان الترابط والانسجام والانتظام بين الألفاظ والمعاني فيقع التشويش على ترتيب هذه المعاني.

الصدق

إن الصدق طمأنينة للنفس، والكذب مصدر للخوف والريبة، ومدعاة للشك بين المتعلمين والمعلم، وقد قال ﷺ: «دع ما يريبك إلى مالا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة».

وعن عقبة بن مسلم قال: «صحبت ابن عمر أربع وثلاثين شهرا، فكان كثيرا ما يسأل فيقول: لا أدري وإذا أغفل العالم لا أدري أصيبت مقاتله».

ويجب أن يكون المعلم عاملا بعلمه، فلا يكذب قوله فعله، لأن العلم يدرك بالبصائر، والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد. ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش في الطين، والظل في العود، فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه؟

التواضع

وعلى المعلم أن يكون متواضعا لمن يربيه، لأن تعاليه عليه يحدث هوة بينهما، وإذا ازدادت الهوة بينهما انعدم التأثير. ولنا في أخلاق المصطفى ﷺ أسوة حسنة، فقد كان ﷺ وهو سيد البشرية أكثر الناس تواضعا، ومما قاله في فضل التواضع: « ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه».

إن المعلم والمدرس هو الذي تصدى للتدريس والإفادة بعد اكتمال أهليته، ويخاف الله، ولا يتعاظم على طلبته اقتداء بالنبي ﷺ الذي أمر بأن يخفض جناحه لمن تبعه من المؤمنين. لأن التواضع في مواقعه من شيم النفوس العظيمة والشريفة، وهو صفة محمودة لا يتحلى بها إلا ذووا العلم والأخلاق العالية.